المجلة السياسية والدولية

اسم المقال: ترجمة مقال "انجراف حلف الشمال الاطلسي" للكاتب وليم دروزدياك
اسم الكاتب: مصطفى نعمان احمد
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/1910
تاريخ الاسترداد: 2025/06/06 16:38 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من الصفحة الخاصة بالمجلة السياسية والدولية على موقع المجلات الأكاديمية العلمية العراقية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

انجراف حلف الشمال الاطلسي(*)

وليم دروزديك(**)

ترجمة

مصطفى نعمان احمد

تحوّل المد

تعد اعادة بناء الشراكة عبر الاطلسي واحدة من اهم التحديات الاستراتيجية التي تواجه الرئيس جورج بوش في ولايته الرئاسية الثانية. فبعد ان بددت التعاطف العالمي الذي تبلور اثر هجمات الحادي عشر من ايلول ٢٠٠١، ومدت القوات المسلحة الامريكية الى ابعد مما هو متوقع في افغانستان والعراق، واحدثت عجزاً في الميزانية حد هائل بحيث لن يكون بالامكان تفادي تدني في قيمة الدولار الا بضخ دفعات كبيرة من رأس المال الاجنبي. فان واشنطن تتعلم الان درساً قاسياً مفاده ان حتى القوة العظمى الوحيدة في الكون بحاجة الى حلفاء. فكونها تفتقر الى قوات كبيرة واموال هائلة تتمكن بوساطتهما من صياغة العالم كما تريد، فان الولايات المتحدة ستكون بحاجة الى اقناع اخلاقي بدلاً من القوة الوحشية اذا ما ارادت الاستحواذ على القلوب والعقول في الخارج والابقاء على قوتها التي لا نظير لها طوال القرن الواحد والعشرين.

والمكان الذي ينبغي البدء منه هو في الديمقراطية الاربعين المنتشرة على امتداد اوروبا. فخلال السنوات الاربع المنصرمة، عانى حلف الاطلسي من ضرر جسيم. فقد تآكلت الثقة، بين كلا الجانبين، بسبب الخلاف حول حرب العراق والميل الامريكي المتزايد للقيام بعمل احادي، لاسيما مبدأ بوش المتمثل بالحرب الوعائية. وفي الوقت نفسه، فان توسع الناتو والاتحاد الاوروبي انهى صدع الحرب الباردة واوجد

(*) مقال منشور في مجلة "شؤون خارجية" الامريكية ٢٠٠٥.

William Drazadiak The North Atlantic Drift Foreign Affaricrs, January-February 2005, pp.89-98.

(**) وليم دروزديك الرئيس للمجلس الامريكي الخاص بالمانيا في مدينة نيويورك. وسبق ان شغل منصب المدير التنفيذي للمركز عبر الاطلسي التابع لصندوق مارشال الخاص بالمانيا الذي يتخذ من بروكسل مقراً له.

فرصاً لواشنطن لاعادة صياغة العلاقة عبر الاطلسي-انجع تحالف في التاريخ على الارجح.

ومع شروع الرئيس بوش بولايته الرئاسية الثانية، فسيكون بحاجة الى ان يبرهن لمنتقديه ان بامكانه اعادة اكتشاف قيم الدوليين الجمهوريين. وسيتوجب عليه اعادة صياغة العلاقة عبر الاطلسي وذلك بتحويل الصراع الموحد للحرب الباردة الى تصميم جديد مشترك لمحاربة الارهاب وانتشار اسلحة الدمار الشامل، فضلاً عن الترحيب بالمبادرات الطرية لتحقيق السلام في الشرق الاوسط وازالة فتيل ازمة محتملة في الطاقة العالمية. فالتوترات بين الولايات المتحدة والدول الاوروبية لن تعمل الا على تفاقم عدم الاستقرار العالمي. ولكن هذه الامم تشكل، معاً، الاساس الوطيد لتحالف فعّال للديمقراطيات التي بامكانها قيادة دعم عالمي النطاق لجملة من المسائل المهمة. ولتحقيق هذا الفهم الاستراتيجي الجديد، يتعين على الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي دعم الجوانب الحاسمة الثلاثة لتحالفهما المتمثلة في شراكتهما الاقتصادية، واستراتيجيتهما الامنية، وسياستها الخارجية.

زواج مصلحة:

ان أي اعادة تقييم للتحالف عبر الاطلسي ينبغي ان يبدأ بمقدمة مهمة بيد انها غالباً ما تكون مهملة: ان الولايات المتحدة والاتحاد الاوروبي ما انفكا المحركين التوأمين للاقتصاد العالمي ومعاً، ينهضان باعباء اكثر من نصف التجارة والتدفقات الاستثمارية في العالم. فتجارتهما مع بعضهما تتجاوز (٢,٥) تريليون دولار امريكي سنوياً وتوفر وظائف لزهاء (١٢) مليون عامل.

وخلال السنوات الثمان المنصرمة، استثمر الامريكان ما مقداره ضعفين في هولندا والمكسيك وعشرة اضعاف في الصين. وخلال هذه المدة، استثمر الاوروبيون في تكساس اكثر مما استثمر الامريكان في اليابان. واليوم، تستثمر التجارة الامريكية اكثر بمقدار (٦٠%) في اوروبا الشرقية مما تستثمره في الصين: (١٦,٦) بليون دولار مقابل (١٠,٣) بليون دولار، طبقاً لاحدث بيانات صادرة عن وزارة التجارة الامريكية. وعلى العكس، توفر اوروبا (٧٥%) من مجمل خارجي للوظائف في امريكا: فشركة سيمنس الصناعية الالمانية العملاقة توظف لوحدها زهاء (٧٠) الف امريكي.

لقد اثبتت هذه الاستثمارات عبر الاطلسي انها جد مربحة. ففي عام ٢٠٠٣، وبينما اوردت وسائل الاعلام ان الامريكان كانوا يسكبون نبيذ بوردو في البالوعات احتجاجا على موقف فرنسا من الحرب في العراق، فان شركة امريكا المتحدة وجدت ان الارباح والتدفقات الاستثمارية من فرنسا تصاعدت الى اعلى مستوى لها خلال ما

يقارب عقد: (٢,٤) بليون دولار و(١,٧) بليون دولار على التوالي. فالارباح التي حققتها المؤسسات الامريكية في اوروبا ارتفعت الى (٧٧) بليون دولار، والاستثمارات الامريكية في اوروبا قفزت بنسبة (٣٠%) الى (٧٨) بليون دولار. وشركات التكنولوجيا الامريكية الكبرى، كمايكروسوفت وانتيل، تنبأت ان ضعف عوائدها العالمية ستأتي من اوروبا في ٢٠٠٥.

ولذا يقول قادة القطاع التجاري الامريكي ان مستهلكي الاتحاد الاوروبي الاثرياء مازالوا يشكلون المجموعة الاكبر للقوة الشرائية في العالم. ويقولون ايضاً ان المصلحة الشخصية الاقتصادية ينبغي ان تكون كافية بحد ذاتها لاقناع الديمقراطيين والجمهوريين في الولايات المتحدة اذا ما اراد حماية الشراكة الاطلسية-ذلك ان القوة الاقتصادية المشتركة للولايات المتحدة واوروبا ستمنحها طاقة هائلة للتعامل مع التحديات العالمية الرئيسة.

ورغم بلايين الدولارات المستثمرة فعلياً في كلا الجانبين، فان الامكانية الكاملة للعلاقة الاقتصادية الامريكية-الاوروبية لم تتحقق بعد. فما زالت ثمة اربعة تحديات كبيرة. يتمثل التحدي الاول في ادارة العالم الغربي لازمة الوظائف المتفاقمة (التي تتسبب بعض الشيء جراء وجود اماكن للاجر الرخيص كالصين والهند) دون اللجوء الى اجراءات حمائية شديدة القسوة كتلك التي احدثت الكساد الكبير. والتحدي الثاني يكمن في ان الولايات المتحدة واوروبا، بوصفهما المستهلكين الرئيسيين للنفط، والفحم، والغاز في العالم، بحاجة ماسة الى دراسة الطاقة المشتركة والاستراتيجيات البيئية لتقليل اعتمادهما على الوقود الاحفوري وتقليل انبعاث الغازات من البيوت الزجاجية. ويتمثل التحدي الثالث في وجوب قيامهما بعقد دورة الدوحة لمفاوضات التجارة العالمية وذلك باتفاقهما على تخفيض المزيد من الـ(٣٠٠) بليون دولار الخاصة باعانات التصدير الحقلي، التي تضر بالمنتجين في الدول النامية وتعمق الانقسام بين الدول الغنية والفقيرة. واخيراً، يتعين عليهما دراسة الاصلاحات المالية العالمية لتجنب ازمة في قيمة الدولار والاخذ بالحسبان الاهمية المتزايدة لليورو.

وبدون شك، فان اوروبا والولايات المتحدة سيختلفان احياناً حول قضايا تجارية، فالتوترات قد تتفاقم جراء الرغبة المتزايدة للاتحاد الاوروبي المتوسع بمواجهة الولايات المتحدة حول الاعانات المالية للطائرات، والانظمة المضادة للتروستات او التجميع لضخم للرساميل، والاغذية المهندسة احيائياً، والاستنساخ. غير ان التجارة جد تعمل على نشر الشراكة عبر المحيط الاطلسي بحيث ان المصالح الفعالة في اوربا والولايات المتحدة ستدفع باتجاه اتخاذ قرار سلمي فيما يخص هذه الامور.

اوجدت حقيقة ان كلتا الشركتين توظفان آلاف العمال في كلا جانبي الاطلسي جماعة ضغط هائلة تبحث عن تسوية للحفاظ على الوظائف والمنافسة السليمة. ولهذا،

ورغم بعض الاختلافات التي لا يمكن تجنبها، فأن قوى العولمة والاسواق التنافسية تقربان الولايات المتحدة واوربا من بعضهما، ولا تجعلهما بعيداً عن الآخر.

الاهداف المتحركة

ستتمثل المهمة الاصعب في تقريب الشقة فيما يخص السياسة الامنية والخارجية التي اتسعت بشكل حد مفاجئ جراء الاختلافات حول الحرب في العراق. وحتى افضل نوايا الطرفين قد لا تكون كافية لتهدئة الخلافات الحالية. وفي الواقع، فأن الاختلافات الجوهرية حول الاحادية ومنع استخدام القوة طرحت سؤالاً مزعجاً: هل بإمكان اوربا والولايات المتحدة تطوير جدول اعمال استراتيجي مشترك للتعامل مع تهديدات القرن الواحد والعشرين، ام هل سيتجاهلان فكرة الدفاع الجماعي مع انتهاء الحرب الباردة ويسيران بطرق منفصلة؟

ان التوترات في هذه المنطقة ليست بالشيء الجديد. فمنذ انشاء الناتو لمواجهة السياسة التوسعية السوفيتية قبل اكثر من نصف قرن، يحاول الامريكان والاوربيون تجنب الازمات التي تتحدى ديمومة الحلف. فهزيمة السويس، وضغينة حرب فيتنام، وطرد شارل ديغول للناتو والجنود الامريكان من فرنسا، والاحتجاجات الجماهيرية في الثمانينيات على نشر معدات نووية وصواريخ كروز في اوربا كلها دعمت التخمين ان الحلفاء الغربيين كانوا على شفا الاطلاق. ومع ذلك فأن النفور الحالي يبدو اشد خطورة. فانهيار الاتحاد السوفيتي وهجمات الحادي عشر من ايلول غيرتا تغييراً جوهرياً الاعتقاد بأن لاوربا والولايات المتحدة مصالح امنية خاصة.

وخلال الحرب الباردة، تملك الاوربيون الخوف من ان بلدانهم قد تتحول الى ساحة حرب نووية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. بيد ان هذا الكابوس بدأ بالتلاشي مع انهيار جدار برلين في التاسع من تشرين الثاني ١٩٨٩ (التاسع من تشرين الثاني هو التاريخ الذي تردد صداه عند الاوربيين بذات القوة التي تردد فيها صدى التاسع من ايلول عند الامريكان تقريباً). والان، وللمرة الاولى منذ اجيال عدة، فأن الاعمال العدائية بين فرنسا والمانيا باتت امراً لا يمكن التفكير فيه. وفي الواقع، فأن الحربين العالميتين الضروستين جعلتا العديد من الاوربيين حذرين من استخدام القوة العسكرية لاي سبب كان. فانهيار الاتحاد السوفيتي، وتفاؤل الصراع الداخلي في البلقان، والتوسع الناجح للناتو والاتحاد الاوربي ليشمل اوربا الوسطى والشرقية ازالت كل التهديدات المنظورة للنظام السلمي للقارة.

منذ الحادي عشر من ايلول والامريكان يشعرون بعدم الارتياح. ونتيجة لذلك، تبلورت لديهم دوافع مادية قوية، مع القليل من الكوابح حول استخدام نفوذ بلدهم العسكري المرعب، لاسيما في الحرب على الارهاب. والاوروبيون لا يفهمون الجرح

الامريكي فهماً كاملاً، بعض الشيء لانهم، على الجانب الآخر من الاطلسي، يتمتعون بدرجة لا سابق لها من استتباب الهدوء. ولخشيتهم من تعكير صفو هذا الاستقرار يبدو العديد من الاوربيين الان معارضين للتدخل في صراعات بعيدة وغير شرعية في العراق او ايران ايفاءً لالتزاماتهم العسكرية مع الولايات المتحدة. فالى جانب الازدراء بقيادة بوش، فان الخشية حفزت اوربا على دراسة الحكمة من حشد القوات العسكرية والموارد لصالح اجندة امنية تقودها واشنطن. فما من رئيس امريكي، مهما كان موقفه ودياً تجاه حلفائه الاوربيين، يأمل الامن باستعادة الولاء الاوربي للقيادة الامريكية الذي ساد طوال النصف قرن الذي تلا الحرب العالمية الثانية.

ومع ذلك، فان الصدع في العلاقات عبر الاطلسي ليس عصياً على الاصلاح. ففي استطلاع حديث للرأي اجراه صندوق مارشال الالماني في الولايات المتحدة في حزيران ٢٠٠٤ وجد، للمرة الاولى منذ ان بدأت استطلاعات كهذه في ٢٠٠١، ان (٥٨%) من مجموع عشرة آلاف اوربي تقريباً استطلعت آراؤهم في تسعة بلدان اعتقدوا انه من غير المرغوب فيه وجود قيادة امريكية قوية في العالم. وفي الوقت نفسه، وجد استطلاع اجرته مؤسسة ترانس اتلانتك ترينـدس (Transatlantic Trends) ان (٧٩%) من مجموع اربعة آلاف امريكي ارادوا ان يخضع الاتحاد الاوربي لقيادة عالمية. وهذه النتائج عكست زيادة في الغضب الاوربي على ادارة واشنطن للشؤون العالمية وفي الدعم الشعبي الامريكي للمزيد من تأكيد الشراكة مع الاتحاد الاوربي. واعتقدوا ان للادارة الامريكية الجديدة فرصة عظيمة في بناء شراكة اكثر عدلاً تنال رضا كل من المصوتين الامريكان، الذين لم يعودوا راغبين بضبط الامن في العالم لوحدهم، ومن الاوربيين، الذين يرغبون بتقييد القوة الامريكية.

ان التغييرات الدولية الحالية في اوربا قد تعمل على تعقيد مهمة واشنطن. فالمناقشات ضمن الاتحاد الاوربي حول المصادقة على الدستور الاوربي واستمرار التوسع في العضوية قد تؤخر حواراً جديداً حول المسائل العالمية الملحة مع الولايات المتحدة. فالنقاش القديم حول "ماهية اوربا؟"- الذي جعل الفيدراليين يؤيدون نوعاً من الولايات المتحدة لاوربا مقابل القوميين الذين يفضلون اتحاداً طليقاً يعزز السيادة الوطنية- قد جرى تجاوزه جراء الجدل الملتهب حول "اين اوربا؟". فرومانيا وبلغاريا من المزمع ان تنظما الى الاتحاد الاوربي في ٢٠٠٧. ومع تركيا التي تنتظر مفاوضات القبول في عضوية الاتحاد، يشعر الاوربيون بالحاجة الى التأكد فيما لو انهم سيفقدون وسائل الامان التقليدية بانضمام تركيا ذات الـ(٧٥) مليون مسلم وامتداد الاتحاد الاوربي الى حدود الشرق الاوسط.

وزيادة على ذلك، تحركت الناتو ابعد بكثير من مسرح عملياتها الطبيعي، حين اضطلعت بقيادة جهد ضغط السلام الدولي في افغانستان. وكان بامكان تفويضها المتنامي ان يخلق خلافاً، لاسيما بين الناتو والاتحاد الاوربي، رغم ان تسع عشرة دولة اوربية تنتمي الى كلتا المنظمتين. واعضاؤها يناضلون، على سبيل المثال، من اجل ارضاء وجهات النظر الروسية المتعارضة. فجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق ودول اوربا الشرقية حذرة من ان تصبح تابعة للمخطط السابق في الكرملين. وفي غضون ذلك، فان حكومتي فرنسا والمانيا تواقتين لكسب ود الرئيس فلاديمير بوتين بغية الوصول الى النفط الروسي وتجهيزات الغاز.

وعلى الرغم من ذلك، قدمت التغييرات الهيكلية لاوربا فرصة نادرة لواشنطن لاعادة صياغة الاجندة الامنية لحلف الاطلسي في هذا القرن. فمعظم فترات نصف القرن المنصرم، انصب التركيز الرئيس للسياسة الامريكية الخارجية على الحيلولة دون غزو الاتحاد السوفيتي وحلفائه لاوربا الغربية وبلورة اوربا معافاة وحرة. وبما ان هذه الاهداف قد تحققت، فأن الولايات المتحدة بحاجة الى اعادة تنظيم مصالحها الامنية الحالية والمستقبلية التي ستكون على افضل حال بجعل اوربا شريك كامل في ادارة الشؤون العالمية.

ورغم الخسارة التي لحقت بصورة واشنطن جراء التمرد في العراق والانتهاكات في ابي غريب وغوانتنامو، اعترف الاوربيون بأنه لا يمكن السماح للولايات المتحدة بالاخفاق في اعادة بناء افغانستان والعراق وفي جلب الديمقراطية الى الشرق الاوسط الكبير. فادارة بوش ما زالت معتمدة على الدعم المهم الذي تتلقاه من المملكة المتحدة، فضلاً عن بولندا، ودول البلقان، والديمقراطيات الجديدة في اوربا الوسطى والشرقية التي ما فتئت ممتنة امتناناً عميقاً ادور امريكا في تحريرها من الديكتاتوريات الشيوعية.

ولكن حتى في هذه الدول، فأن النية بمقدور واشنطن الحفاظ على الدعم الا باعادة سلك الطريق الذي قامت بوساطته بادارة العلاقة عبر الاطلسي، واخذ الحساسيات الجغرافية الاوربية، والاحتياجات الامنية، والمصالح السياسية المتميزة في الحسبان. وفي بعض الحالات، قد تحتاج الولايات المتحدة الى التخلي عن المبادرة فيما يخص بعض الامور الامنية الاقليمية كي تشجع اوربا على انجاز طموحاتها ومسؤولياتها العالمية الابرز.

ويعترف منتقدو الاتحاد الاوربي ان الدول الاوربية قد حققت نجاحاً مذهلاً في اضفاء الاستقرار على قارة عبثت بها الحرب بصورة دائمية- اولاً بالمصالحة الفرنسية الالمانية، وبعدئذ بضم الدول الشيوعية السابقة ضمن سوق موحد والمنطقة الامنية للناتو، ولكن بما ان اوربا بمنأى عن التهديدات التي تستلزم تدخلاً امريكياً

كبيراً، فان المتشككين الامريكان–لاسيما المحافظين الجدد الذين يعتقدون ان اوربا لم تعد تشاطر وجهة النظر الامريكية العالمية–يعتقدون ان حلف الاطلسي لا يستحق ان يمثل اولوية رئيسة في السياسة الخارجية لواشنطن. ويزعمون ان عدم الاهتمام باوربا له ما يبرره لان اوربا برهنت عل انها معارضة لاظهار قوة سياسية وعسكرية تتناسب ووزنها الاقتصادي لمساعدة الولايات المتحدة في مواجهة التهديد الجديد للارهاب الجهادي، وازدراءً باجراءات الاتحاد الاوربي، فان هؤلاء المنتقدين اطلقوا على خافيير سولانا، مفوض الاتحاد الاوربي للسياستين الخارجية والامنية، تسمية "المفوض السامي للمستوى الاقل شيوعاً".

ومع ذلك فان هؤلاء المنتقدين ليسوا محقين تماماً، ولم يعترفوا بأن قلقهم قد اخذ على محمل الجد. فسولانا، الذي بالامكان ان يصبح اول وزير خارجية لاوربا بموجب الدستور، اعترف بأن اوربا بحاجة الى اتخاذ موقف اصلب، واكثر فاعلية ازاء خطر المتطرفين الاسلاميين، بدلاً من توجيه النقد غير الموجب للسياسة الامريكية. وقال ان الاتحاد الاوربي يكافح من اجل رصف سياسته الخارجية واولوياته الامنية مع مثيلاتها الامريكية. ففي كانون الاول ٢٠٠٣، صادق قادة اوربا على استراتيجية امنية جديدة تشجع على بسط قوة في الخارج لتعمل كدفاع متقدم ازاء التهديد الذي تشكله الدول المخذولة، والارهاب، واسلحة الدمار الشامل. وصادقوا ايضاً على تقاسم المعلومات الاستخبارية، وتنسيق جهود مناهضة الارهاب، وايجاد امر اعتقال اوربي يسهل تسليم الارهابيين. وكلما حققت اوربا قدرة اكبر على التعامل مع التهديدات العالمية، فسأن الولايات المتحدة ستجد ان بالامكان استخدام مواردها الخاصة بصورة اكثر فاعلية بالترادف مع شريك اوربي اقوى،

شرطي جيد، شرطي رديء

بامكان اوربا والولايات المتحدة الامريكية ان تجدا ايضاً ارضية مشتركة تخص السياسة الخارجية. فرغم الانقسامات العاطفية المترددة ضمن اوربا حول التدخل الامريكي في العراق، فلا يزال ثمة دعم كبير عبر الاتحاد الاوربي لاجراء تنسيق اكبر مع واشنطن. فقد واصل سولانا عملية الوثيق مع وزير الخارجية كولن باول للابقاء على جهود حفظ السلام في البلقان والشرق الاوسط. ومع ان وضع كوسوفو لما يزل دون حل و"خارطة الطريق" لاحلال سلام اسرائيلي–فلسطيني وصلت الى طريق مسدود، فأن تقدماً متواضعاً قد تحقق في التعاون عبر الاطلسي فيما يتعلق بكلتا المسألتين. فخليفة باول، كوندوليزا رايس، بمقدورها بل ويتوجب عليها ان تعتمد على التطورات الجديدة، كاضطلاع اوربا بمهام حفظ السلام في البلقان والقيادة الفلسطينية الجديدة اثر وفاة ياسر عرفات.

فالموجودات الامريكية والاوربية مكملة لبعضها البعض. والميل الاوربي لتقديم حوافز دبلوماسية ينبغي ان يتوافق مع الميل الامريكي باستخدام تهديد القوة العسكرية. فالدبلوماسية المتناسقة ستساعد على انجاز طموحات اوربا بلعب دور اكثر فاعلية في الشؤون العالمية مما يشجعها على العمل بصورة وثيقة في شراكة مع الولايات المتحدة. وفي الوقت ذاته، فأن اقامة جبهة موحدة سيعيد للاجراء الامريكي الشرعية الدولية التي افتقدتها الاحادية العنيفة لادارة بوش.

وعلى واشنطن السماح لحلفائها في اوربا بتزعم المبادرات السياسية الجديدة في مناطق يتمتعون فيها بنفوذ اكبر او صلات تاريخية. خذ ايران على سبيل المثال. فادارة بوش كانت متشككة حوا اعلان ايران ان انشطتها النووية مكرسة للاغراض السلمية فقط، بيد انها شجعت اوربا على القيام بمحاولة اخيرة لاقناع طهران بايقاف انشطة تخصيب اليورانيوم والتأكيد للعالم انها لا تحاول انتاج اسلحة نووية.

ويقول الدبلوماسيون الاوربيون ان رفض ايران قبول العرض الاوربي، الذي يشمل تعزيز الامكانات التجارية وتأكيد تجهيزات الوقود النووي، سيؤدي قطعاً الى دعم الاتحاد الاوربي لعقوبات الامم المتحدة التي تؤيدها الولايات المتحدة الامريكية. وفي الواقع، فأن توافق الدبلوماسية الاوربية والتهديدات الامريكية بفرض عقوبات اشد قد عززت الآمال من ان ايران ستلتزم في نهاية الامر باتفاقيتها الاخيرة بوقف كل انشطة تخصيب اليورانيوم.

ان دور ناشط لاوربا كان من الممكن ايضاً ان يتمخض عن تأثيرات مفيدة تخص جهود الوساطة بين الاسرائيليين والفلسطينيين. فطالما كان ينظر الى الولايات المتحدة على انها القوة الخارجية الوحيدة القادرة على الحصول على تنازلات من اسرائيل-تشمل تفكيك المستوطنات في غزة والضفة الغربية-بينما انحصر دور اوربا بتقديم المساعدات الانسانية والدعم المالي الى الفلسطينيين. ومع ذلك فأن دوراً ناشطاً للاتحاد الاوربي يتم من خلاله تقديم الحوافز التجارية والمساعدات الى اسرائيل من الممكن ان يساعد في اعادة الطرفين الى طاولة المفاوضات. اذن، ورغم العلاقات الامنية الوثيقة مع الولايات المتحدة الامريكية، فأن اسرائيل ما انفكت تعد الاتحاد الاوربي شريكها الاقتصادي الاهم.

ان دبلوماسية اقتسام الجهد ستخفف من عبء الولايات المتحدة التي تحمل حصة الاسد من مسؤوليات حفظ السلام الاقليمي. ويقول المحللون انها ستساعد على دحض سمعة "التهرب" التي اكتسبها الاوربيون جراء تهربهم احياناً من المهمات العسكرية الصعبة علماً بأن الولايات المتحدة هي التي كانت تعوض هذا التهرب في اداء الواجب. ففي البلقان، حيث سرعان ما سيضطلع الاتحاد الاوربي بالسيطرة على حفظ السلام الدولي، فأن نوعاً كهذا من اعادة التقييم جارياً فعلياً.

وقد يكون ثمة تغيير اكبر في الواجبات. وفي الحقيقة، فان الحلفاء الاوربيين قد كيفوا قواتهم العسكرية لبيئة ما بعد الحرب الباردة بشكل افضل مما يعتقد المحللون في امريكا. فالقوات المسلحة الامريكية تضم حوالي (١,٤) مليون رجل وامرأة مع حوالي (٤٠٠) الف جندي في قوات الانتشار الخارجي. ولدول الاتحاد الاوربي الخمس والعشرين (١,٩) مليون عسكري في قواتهم المسلحة، ومع ان (٥٠) الف منهم فقط بالامكان ارسالهم الى الخارج، فان هذا الرقم من المتوقع ان يصل الى (٢٠٠) الف خلال العقد القادم. والميزانية السنوية لاعضاء الاتحاد الاوربي البالغة (١٧٥) بليون دولار الخاصة بشؤون الدفاع قد تبدو ضئيلة قياساً بميزانية الولايات المتحدة التي تبلغ (٥٠٠) بليون دولار للسنة المالية الجارية، لكنها تتجاوز الميزانيات العسكرية للصين واليابان، وروسيا مجتمعة.

وعلاوة على ذلك، جرى تنفيذ عدد من المشاريع الرئيسة لاصلاح النواقص العسكرية لاوربا وتجهيزها باسطول نقل جوي طويل المدى، ومنظومة استطلاع مستقلة ذاتياً للاقمار الصناعية، واسلحة جديدة دقيقة التوجيه، ومئات الطائرات السمتية الخفيفة المستعملة في النقل. وهناك الان (١٩) الف جندي من خمس عشرة دولة اوربية من اعضاء الناتو في العراق وسبعة آلاف جندي اوربي في قوات حفظ السلام التابعة للناتو في افغانستان.

وفي البلقان، فان القوات الاوربية البالغ عددها (٣٠) الف جندي والتي تضطلع بقيادة قوات حفظ السلام في كل المواقع الساخنة للمنطقة تقريباً، وتشمل البانيا، البوسنة، وكوسوفو، ومقدونيا، يفوق عددها عدد القوات الامريكية. ولتوقعها ان المهام المستقبلية ستستلزم دوريات شوارع بدلاً من قوة نارية، فقد تم انشاء قوة شرطة جديدة يبلغ تعدادها (٥٠٠) جندي تابعة للاتحاد الاوربي للقيام بواجبات حفظ السلام في الخارج. وثلاث مهام من هذا النوع اجريت تحت علم الاتحاد الاوربي في ٢٠٠٣، في جمهورية الكونغو الديمقراطية، والبوسنة، ومقدونيا.

نزعة ثانية

"اذا اردت الحصول على وجبة رخيصة من احياء معينة في امريكا، فكل ما يتعين عليك عمله هو ان تعنف الامم المتحدة، او الفرنسيين، او الفكرة القائلة ان الحلفاء مؤهلون لبلورة افكارهم الخاصة" هذا ما قاله جريس باتين، مفوض الاتحاد الاوربي آنذاك امام البرلمان الاوربي في شهر ايلول. ومضى قائلاً ان الاوربيين يعتقدون ان اثارة واشنطن للحروب سيجعلهم في حل من وجوب قيامهم بتحديد سياستهم الخارجية. ومضى محذراً "ان العالم يستحق افضل من التهرب من المسؤولية في جانب والاستكبار في جانب آخر".

ورغم ان الخلافات الحادة في الرأي ستستمر، لاسباب تتعلق بالوضع السياسي، فانها ينبغي ان لا تعوق التزامات الحلفاء بالعمل معاً. فاوربا ستبقى تدين عقوبة الاعدام واقحام القومية الدينية في السياسة الامريكية، والامريكان سينتقدون البرامج السخية للرعاية في اوربا وانظمة السوق الابوية فيها. ولكن بسبب مواردها الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية الهائلة، فأن الولايات المتحدة والاتحاد الاوربي بحاجة الى انتهاز الازمة الحالية كفرصة لتجديد تحالفهما. فلكي تنال الشراكة الاطلسية فرصة حياة جديدة، يتعين على الحلفاء اعادة اكتشاف الاحترام والتسامح المتبادلين والسعي، وفقاً للتقاليد الديمقراطية، الى تسوية خلافاتهما بدلاً من توجيه النقد لدوافع بعضهما البعض.

تلك الادارات الجديدة تتسلم الان السلطة في واشنطن وبروكسل وبحوزتها جداول اعمال دسمة تمثل فرصة غير متوقعة لاعادة الاهمية للشراكة الامريكية-الاوربية. وحين يقيم اولوياته ويدقق في اختيار فريقه للامن القومي، فان الرئيس بوش يبدأ ولايته الجديدة وصورة امريكا في العالم اكثر قتامه من أي وقت مضى في التاريخ الحديث. ورغم ان معظم الاوربيين يساورهم الشك من التزام بوش بالتحالف، فلما يزل بامكانه الاعتماد على الدعم من رئيس الوزراء البريطاني توني بلير ووجهات النظر الاطلسية لمفوض تنفيذي جديد للاتحاد الاوربي يرأسه رئيس الوزراء البرتغالي السابق، جوس مانويل باروسو. ومعاً، بامكانهم مساعدة القادة الامريكان والاوربيين كي يضعوا نصب اعينهم ان الحلف الاطلسي سيبقى مؤسسة حاسمة للنظام العالمي، والذي بالامكان بل يجب الحفاظ عليه بتوافق القوة العسكرية الامريكية والشرعية الدبلوماسية للديمقراطيات الاوربية المتعددة. وقد زعم احد هذه الشعارات التي رفعها بوش في ادارته الاولى ان المهمة تحدد الائتلاف. وبما انه يبحث عن مكان له في التاريخ-وليس مجرد الرئاسة-فأن بوش سيفعل ما بوسعه لتعديل هذا الشعار. وولايته الرئاسية الثانية ستكون اكثر نجاحاً بكثير اذا ما تمكن من الاعتراف باهمية ضمان الدعم بين حلفاء الولايات المتحدة الامريكية التقليديين قبل الشروع بمهام في الخارج.